هكـــذا أغنى

ديوان الأستاذ محمود حسن اسماعيل

للأديب عباس حسان خضر

يقول شاعرنا :

إن تسل في الشعر عني هكـذا كنت أغني

ونحن نسأل عنه في الشعر ، فلننظر كيف يغني ...

هو يغني بشعره ، صادراً عن طبيعة خصبة ، مترجماً عن نفس زاخرة بعناصر الشاعرية من إحساس مرهف ، وعاطفة مضطرمة ، وعقل (فني) يدرك به الجوانب الفنية للأشياء ، يتملك كل هذه خيال طامح متوثب . وهو عند ما يشحذ هذه العُدّة يمضي متدفقاً مندفعاً عنيفاً ، وفي كثير من الأحيان يتبع هذا التدفق والعنف عدم اكتراث بسلامة الذوق ، واعتساف في الفكر وفي التعبير — كما نبين فيما يأتي — معتمداً في ذلك على قوة طبيعته ونشاط خياله ، غير متقيد ولا محترس ، فهو يعوّل على الهبة الفطرية أكثر مما يعول على المهارة الاكتسابية

ويمتاز شعر هذا الديوان بشيء لعلي موفق إذ أسميه «الروعة» وهو ذلك الذي يستغرق الشاعر ويروع العواطف ويأخذ بالذهن إلى عوالم متنائية الأطراف ، ولعل مبعثه بُعد المدى في الخيال ، والايغال في تصوير الأشياء التي يكتنفها الغموض ، ومن ذلك كثرة ترديده ذكر الرهبان والقسس والأديرة وانتزاع الصور من محيطها الغامض . ومما تتجلى فيه تلك الروعة قصيدة « دمعة في قلب الليل » وقد أبدع في وصف الدموع في هدأة الليل ، وافتن في تصوير المعاني افتناناً . قال يخاطب الليل :

خلني للدموع وحدي أناجيـــها في العـــزلة السوداء

أنا من كأسها شربت صبيًّا خمرة سلسلت من البأساء

عصرت من مطارف الألم الدا وي بقلبي وعتقت في دمائي

تخـذتْ جامها المحاجر والسا قي همًّا يؤجج في أحشائي

هي أشهى إلى عيوني من النو ر ، وأبهى من لمحة الأنداء

هات ياليل قطرها فهي حيري كتمت برحها من الـكبرياء

فانظر كيف يصور الدموع خمراً عصرت من قلبه موطن آلامه ثم اتخذت لها مسرى دمائه دناناً تعتق فيها ، ثم صبت في كؤوس من محاجر العيون ، يقوم على سقيها ساق من الهم يضطرب في الأحشاء ... ثم انظر كيف يستقطرها الليل لتترقرق مستورة حيرى في عزلة الليل وقد برح بها الـكتمان لأن الـكبرياء أبت عليها الظهور في وضح النهار . وإن كان قد شاب هذه الصورة بفساد في بعض التصوير ، فقد قال « عصرت من مطارف الألم » فجعلنا نتمثل امرأة حاسرة عن ذراعيها أمام طست النسيل تعصر تلك المطارف والأثواب ...

وهاك مزهراً تتكون أوتاره من الأهداب وتحدث أنغامه من رنين البكاء :

همسها في الجفون أصداء ناى بلعت شـدوه رياح المساء

مزهر للعيون أوتاره الهـد ب ... وأنغامه رنين البكاء

يستعذب الشاعر دموعه ويطرب من ذرفها فيصورها في الجفون هذا التصوير الرائع ... كصدى الناى البعيد تستهلك شدوه الرياح فلا يصل إلى السمع منه إلا كالهمس ... هذه — من غير

شك — دموع شاعر يتغنى على تسكابها فيبدع ويطرب

وهناك فى ذلك الظلام السائد يزرح تحت أثقال الليل كوخ :

رجفت شمعة بجنبيه تهفو فى دجاه كالمقلة العمشاء
خنق الليل نورها خنقة البؤ س لأرواح أهلها التعساء

إنك لتشعر بالروعة حيال هذا المنظر : كوخ يعانى ضوء شمعته الخافت من الظلام ما يعانى أهله من البؤس

وأبرز شىء فى شعر شاعرنا اللمعة الذهنية المتألقة حتى إنها ليُذهل بها عن كثير مما لم يمسه التنقيح والتهذيب ، فهو بذلك يختلف عن شعراء يعاودون كلامهم بالصقل ويتناولونه بالتشذيب فيخرج سلساً منقفاً ، ومع ذلك ليس فيه من المفاجآت الشعرية ما يملك الحواس ويؤثر فى العواطف

وقصيدة « ثورة الاسلام فى بدر » تدل على اقتدار الشاعر على استيحاء الحوادث أروع معانى الحياة وانتزاع المغزى الغنى من الوقائع المادية ، فهو يتعرض لمواقف غزوة بدر تعرض شاعر يزجى الحقائق ملونة بخواطره ، ويبرز ما يرمى إليه فى أبرع الصور حتى لقد جاءت هذه القصيدة ملحمة صغيرة رائعة . استمع إليه ينطق الأصنام بالحديث عن الاسلام :

سجد (اللاتُ) مؤمناً ! وحُجثا (العز
ى) يناجى (مناة) يا صاح أبشر !
هلّ فى ساحنا وميض من النو ر غريب التلماح ، خافى التصور
ذره أرعد الصفا ! وأحال الصـ ـخور روحاً يكاد فى الرمل يخطر
لامن الشمس فيضه فلكم شعـ ـت علينا فلم ترع أو تبهر
لامن النجم لمحه .. فلكم لا ح كشيب الضياء وهنان أصفر
قد نسخنا به ! ومن غابر الدهـ ـر نسخنا البلى ولم نتغير
أ لمونا .. وعفروا — وهم الصيـ ـد — علاهم على ثرانا المعفر
سر بنا يا (مناة) نخشع جلالا لسنا النور ... عله اليوم يغفر
عجباً ! خرت المحاريب والأصـ ـنام دكا .. والعبد مازال يكفر !

وشاعرنا فنان يصرف الكلام تصريف اللبق ، يقول فى جلالة الملك :

سجدات وجه مشرق نضح التقى
فى كل ما لمحت به سيماؤه
لو راءه عانى المجوس تخشعت للنار من غى النهى أعضاؤه
لا نحاز فى ركب النبى ، وناره نور تدفق فى الصلاة ضياؤه

استطاع — بمهارة فى التعبير — أن يحول المجوسى من غيه فى عبادة النار إلى الاعجاب بنور الهدى

تلك بعض خصائص الشعر فى ديوان « هكذا أغنى » وذلك بعض ما تغنى به فأطرب ... وقد ألمعنا إلى مآخذ فيه (وهى النشاز) يقتضينا الإنصاف أن نسوق من الدلائل عليها :

يقول فى قصيدة « يوم الناج » يصف مغنياً فى حفلة عابدين الساهرة :

وقف المغنى فى حماك مجلجلا باللحن تخفق فى الورى أصداؤه
فيه من الأقدار وهلة غيبها خبأته عن لمع الحجا أطواؤه
ومن الكتائب أرزمت أسلاتها صخب يزمجر بالفتوح نداؤه
ومن المواكب هولها فى فيلق نشوان فى يوم الفخار لواؤه

فأى مغن هذا المجلجل الذى اجتمعت فيه وهلة الأقدار وصخب الكتائب وهول الفيالق ؟ ! إن هذه الصفات المروعة لا تصطلح على مغن ولو كان من (مطربى) محطة الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة ...

يقول فى قصيدة « الذهول » :

أم ببلبل تحت ظلال النخيل أسكره الصدح
فنام ... واستاق عليه الأصيل والظل والدوح !

فاذا تصورنا استلقاء الأصيل أو الظل على البلبل بمعنى وقوع الظلال عليه ، فكيف تستاق الدوح على ذلك المسكين دون أن يرديه هذا المزاح الثقيل ... ؟

ويقول فى هذه القصيدة :

الوجه ساج كصلاة النذير ... ... بين الطيور

فكيف يصلى النذير بين الطيور ؟ لعله يريد (صلاة) الطيور على النذير بحسوها منه ، فقلب التعبير ، كما فعل فى مطلع قصيدة « عارية ستانلى باي » إذ قال :

من عالم البحر لجاج الهوى وأترع الحب بشطآنه

فما أرى للشطر الثانى معنى مستقيما إلا على (القلب) كأنه يريد : وأترع شطآنه بالحب ، وإلا فما معنى أن الحب ملء بشطآن البحر ؟ ليس هذا إلا تخريق الثوب المستعار !

يقول فى قصيدة : « دمعة فى قلب الليل »

لامنى فى هواه خال من الهـ ـم بليد الفؤاد جمّ الغباء

ردّ عنى يا ليل دعواه ... إنى كدت من لومه أحطم نائى

وهو — بطبيعة المعنى — يقصد من (نائى) الناى ، ولكن القافية الهمزية العصيّة جنت على الناى فهمزته ولمزته ... ولست أدرى لماذا لم ينتفع الشاعر بهذه الكلمة (ناء) التى اخترعها — فى تصريع قصيدة « يوم التاج » إذ قال فى المطلع :

شاديك من قصب الفرادس نايه ومن السنا والطيب علّ غناؤه

ولم يقل (ناؤه) بدل (نايه) ؟ لعله لم يرد استغلال الاختراع كثيراً ، فاقتصر على حاجة القافية الماسة ، أما التصريع فأمر فواته أهون ..

يقول فى قصيدة « من لهيب الحرمان » :

رب ومض من لحظ عينيك ساج فجر الوحى من سنا لمحاتك

ومض لحظ العينين هو سنا اللمحات ، فكيف يفجر ومض لحظ العينين الوحى من ومض لحظ العينين ؟

يقول فى قصيدة « الذهول » السالفة ، ويظهر أن الشاعر قالها فى ذهول :

وذاع من جفنيك فيها عبير ... ... دام حـــــير

إذا أكرهنا المجاز على تقبل ذيوع العبير من الجفنين ، فأى ذوق يسيغ وصف العبير بأنه دام ... ؟

تقدم فى أبيات من قصيدة « دمعة فى قلب الليل » قوله :

عصرت من مطارف الألم الدا وى بقلبى وعتقت فى دمائى

والمقصود هنا كلمة (الداوى) فهى من الأغلاط الشائعة لأن الفعل الموجود لهذا المعنى (دوّى) بالتشديد وليس هناك (دوى) ثلاثياً حتى يجىء منه (الداوى)

الشاعر مغرم بكلمات يرددها كثيراً مثل الغنـاء واللحن والناى وما إليها ، حتى إنه فى قصيدة واحدة هى قصيدة : « هكذا أغنى » أطال استخدام مادة واحدة هى : (غنى يغنى) وصاغ منها ثمانى قوافٍ ...

وبعد فإن ديوان : « هكذا أغنى » زاخر بالشعر النابض بالشباب ، يتمثل فيه جلال التخيـل ، وقوة العاطفة ، وتألق الشاعرية ، والقدرة على استخدام تعابير حية ؛ والواقع الغريب أن استشراء الصفات الثلاث الأولى يؤدي بالشاعر إلى الاندفاع الجارف . والأستاذ محمود حسن إسماعيل لا ينقصه — ليكون فى شعراء الذروة — إلا أن يعاود ما ينشده بالصقل والإصلاح

عباس حسان خضر

مقالة الأستاذ قطب

جاءتنا مقالة الأستاذ سيد قطب متأخرة فأرجأناها إلى العدد القادم .

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الأديب

ابى العلاء المعرى

طرفة من روائع الأدب العربى فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبى العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

وهو مضبوط بالشكل الكامل ويقع في قرابة ٥٠٠ صفحة

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة